

تحديات الخطاب الإسلامي المعاصر

أ. محمد تونسي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

إذا كانت سنة التواصل والتعارف بين الشعوب والثقافات شيء لا بد منه وضروري لاكتساب ما هو مفيد من الآخر، فإن تعميم النمط الواحد واقتصاف به النمط الغربي ونكران أو تجاهل الأنماط والهويات الأخرى، والتطاول على كل ما له حرمة عند الآخر تحت ذرائع مختلفة، يستدعي النظر في كل ردة فعل ازاء ما يحصل، إن واقع المسلمين المتردي يشكل أرضية خصبة لإشاعة أي تقليد أعمى إذ إن موجة العولمة التي تحتاج العالم الإسلامي بما تحمله من مفاهيم وأفكار مختلفة المفيدة منها والمفسدة وانتشارها الواسع عن طريق وسائل الإعلام يطرح مسألة مواجهة هذه المفاهيم، والخطاب الإسلامي باعتباره الصوت المعبر عن هوية الأمة معني بالدرجة الأولى أمام هذا الغزو الفكري الذي يهدد مقوماتها، وهذا يطرح مسألة واقع الخطاب الإسلامي والدور الذي يجب أن يلعبه في هذه المرحلة، ومختلف الأساليب والخصائص التي يتميز بها، والأهداف التي يصبو إليها.

أولاً- ملامح الخطاب الإسلامي المعاصر:

يمكن القول إن الخطاب الإسلامي هو مجموع الاجتهادات والآراء الفكرية التي بنيت حول المصادر الإسلامية الأصلية وهي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويمكن تعريف الخطاب الإسلامي بأنه مجموع الأفكار الهادفة إلى الدفاع

عن مقومات الإسلام والتي تساهم في تدعيمها وتقويتها، وليس كل حديث عن الإسلام يدخل في نطاق الخطاب الإسلامي، فالمستشرقون مثلاً يتحدثون عن الإسلام، وقد لا يكونون دقيقين في ملاحظاتهم بفعل انتمائهم الإيديولوجي وأفكارهم المسبقة، كما أن الهدف من كتاباتهم قد لا يكون لغرض تدعيم مقومات الإسلام التي نؤمن بها، وحمل هموم الأمة وتجديد همتها، يرى الشيخ يوسف القرضاوي أن المراد بالخطاب الإسلامي « هو البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس، مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام أو تعليمهم لهم، وتربيتهم عليه، عقيدة أو شريعة، عبادة أو معاملة، فكراً أو سلوكاً، أو حتى لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم، فردية أو اجتماعية، روحية أو مادية، نظرية أو عملية »¹، إن هذا الخطاب يتعرض لمختلف القضايا الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية...، وقد يظهر في صيغ فكرية أو علمية أو دعوية أو فقهية، كذلك يعرف محمد قطب الخطاب الإسلامي بأنه « الإنتاج الفكري السليم الذي يزيدنا معرفة بالإسلام، والذي يكشف من مشاكلنا ما نكون غافلين عنه، ويقدم لنا حلولاً لهذه المشكلات »².

إن الخطاب الإسلامي ليس محصوراً في الوعظ والإرشاد فقط « ولكنه كل الخطاب الذي يعبر عن خصوصيات الأمة الإسلامية ويدافع عن المصالح العليا للعالم الإسلامي، ويقدم الصورة الحقيقية عن الإسلام والمسلمين، ويصحح الأخطاء والمغالطات، ويفند الشبهات، ويدحض التهم، ويتصدى بسلاح العلم والمنطق واللغة المناسبة، للحملات المغرضة التي تتعرض لها الأقطار الإسلامية »³

من خصائص الخطاب الإسلامي انه مرتبط بأصوله الدينية الإسلامية ونعني هنا انه مرتبط بالإطار العقدي والقيمي الإسلامي، وهذا ما يعطيه أصالته، فهو دائماً يسير وفق الخطوط العريضة للدين الإسلامي، إضافة إلى هذا فإن من خصائص الخطاب الإسلامي الشمول، فهذا الشمول مستمد من شمول الدين الإسلامي، وقد يرى بعض المستشرقين أن هذا الشمول صفة سلبية⁴، ويشبهون هذا بسيطرة

الكنيسة عندهم، ويتناسون أن القيود التي كانت الكنيسة تضعها لا وجود لها في الإسلام ولا في الحضارة الإسلامية، إذن فالخطاب الإسلامي لا يرتبط فقط كما يرى البعض بالعقائد والفقه والعبادات، وإنما بكل مجالات الحياة كالسياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها من المجالات.

ثانياً- مظاهر القصور في الخطاب الإسلامي:

إن الخطاب الإسلامي في هذا الوقت تأثر بالأوضاع التي يعيشها العالم الإسلامي، فكما أن هناك تديني في المناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي فإن الخطاب الإسلامي أيضاً يتأثر مثل هذه المستويات، قد تكون هناك محاولات منفردة، لكن على المستوى الكلي فإن الخطاب الإسلامي أصبح مزاحماً من قبل تيارات أخرى في العالم الإسلامي، ومن مظاهر الضعف والتشتت التي يشهدها الخطاب الإسلامي يمكن أن نذكر مايلي:

من مظاهر الخلل في الخطاب الإسلامي هو اتصافه بالجزئية في البحث والنظر، وقد أدى هذا إلى استبعاد جزء مهم من الحلول، والاقصاء على جانب أحادي في النظر للقضايا المطروحة، فمعظم المفكرين الإسلاميين اقتصرُوا على معطيات التراث في تصورهم للحلول الممكنة وأهمَلُوا جانباً كبيراً من المتغيرات التي طرأت على الواقع الإسلامي والواقع العالمي، واستبعدوا المعارف الإنسانية التي من شأنها أن تسهم في تشكيل رؤية جديدة للمشكلات والمساهمة في وضع تصورات لها فاعلية في إحداث التغيير، وما يقال عن الخطاب الإسلامي في هذا الشأن أنه طغى عليه نمط من الإنتاج الفكري يطبعه عدم إلمام بين معطيات التراث ومعطيات الكسب الإنسانية من علوم ومعارف، وهذا ينعكس على تقصي القضايا من جميع الجهات⁵.

كما أن واقع الخطاب الإسلامي يشهد تشتتاً في الفكر، إذ أن هناك افتراق فكري وافتراق عقدي بلغ درجة الصراع، فالاختلافات العقدية والمذهبية ألفت

بظلالها على الفكر الإسلامي، وقد أدى تشتت الفكر إلى الحيلولة دون استخلاص الأسباب المشتركة أو الكامنة بين الظواهر المتفرقة، أو النفاذ من الغايات المتفرقة أو المختلفة إلى الغاية المشتركة⁶، وغيب هذا إدراك وجهة العالم الإسلامي التي من خلالها يكون ترشيد الجهود الفكرية ورسم إستراتيجية تصبح غاية كل مسلم، ومن جهة أخرى فإن الخطاب الإسلامي الضعيف والممزق بالانتماءات المنتطحة، المثقل بأشكال التكرار البعيد عن كل إبداع، يؤدي إلى ترسيخ الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والمسلمين، ويقدم الذريعة لمن يعادي العالم الإسلامي ويقف في صفوف المتأمرين عليه، لتجاهل أي خصوصية للأمة الإسلامية وهضم حقوقها، والافتراء عليها وفرض الهيمنة الاستعمارية الجديدة على البلدان الإسلامية.

كذلك ما يتصف به الخطاب الإسلامي هذه الأيام أنه تطبعه صفة المثالية والتجريد، فاعلم الجهود الفكرية إما أن تكون هائمة في الماضي تجتر التراث وتتغنى به، وإما هائمة بالمستقبل تبني خيالات لمصير الأمة الإسلامية، وهذا النمط التجريدي من الفكر بعيد كل البعد عن الفكر الإسلامي الرشيد في عهوده الأولى والذي يجعل من الواقع منطلقاً له⁷.

وما يطبع الخطاب الإسلامي كذلك هو اتصافه بذهنية الغرور أو ذهنية الانحياز وفي كلا الذهنتين عامل مثبط للعزيمة والهمة على توفير شروط النهضة، إن مصيبة الخطاب الإسلامي كما يرى مالك بن نبي أنه أصبح يميزه نوعان من الذهان، ذهان السهولة الناتج عن الاعتماد على الاعتقاد بأننا ما دمنا على الدين الإسلامي فلا خوف علينا من الضياع، ومشكلة هذا النمط من التفكير هو أنه هل نحن حقاً نمارس الإسلام أم فقط بعض المظاهر، وذهان الاستحالة الذي يرى أن التطور الغربي بلغ درجة لا يمكن اللحاق بها ومواقبتها⁸، فالذهان الأول يتمثل في ذهنية الغرور، والذهان الثاني يتمثل في ذهنية الاستسلام.

كما أن الخطاب الإسلامي يتميز بصفة الذاتية بديلا عن الموضوعية، كما أنه يفتقر إلى المنهج النقدي والمقارن⁹، وتعتبر هاتين الصفتين غالبيتين، وهما تؤديان إلى مظاهر الفرقة والتشتت في الفكر الإسلامي. لقد رأى مالك بن نبي أن الخطاب الإسلامي لم تكن له القدرة على إدراك حقيقة الظواهر، فلا يكاد يستوعب منها إلا قشرها، فقد أصبح عاجزا عن تقديم فهم للقرآن، وإنما عمل على استظهاره فقط، كما أن الأفكار والأشياء الوافدة من الحضارات الأخرى اكتفى بمعرفة ما تجلبه من فوائد دون أن يفكر في نقدها، وقد أدى هذا إلى شيوع عقلية التكرار للموروث والاستهلاك للوافد دون محاولة معرفة كيفية إبداع هذه الأفكار والأشياء.¹⁰

كذلك من مظاهر القصور في الخطاب الإسلامي أنه يواجه تداعيات داخلية وتداعيات خارجية، فإضافة إلى حالة الفرقة والتشتت التي تميز العالم الإسلامي والفقر والتخلف ومظاهر الفساد التي تطبع الأخلاق والإدارة والاضطرابات السياسية والاقتصادية والتي تجعل من مستوى أداء الخطاب الإسلامي متدنيا وتكون له فاعلية ناقصة في أداء رسالته في المجتمع الإسلامي، هناك التداعيات الخارجية التي جعلت الأفكار الغربية تكتسح وسائل الإعلام في العالم الإسلامي فأصبحت المفاهيم والعادات الغربية التي لا تخدمنا في أغلبها لا يكاد ينقطع ذكرها، فالعولمة ذاهبة في جعل الخطاب الإسلامي خطابا غربيا عن بيئته، وذلك بالترويج لمفاهيم جديدة وتصوير المفاهيم الأصيلة في الخطاب الإسلامي بأنها تجاوزها الزمن وإنما لم تعد لها فاعلية في الوقت الحاضر، ولطالما تكلم الليبراليون عن قدرة الأفكار الليبرالية إثبات وجودها في العالم الإسلامي لأنها الأصلح لمواكبة التطورات العالمية الجديدة.

ثالثا- الخطاب الإسلامي المنشود:

إن الظروف التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم قد تغيرت ولذا يجب أن يكون الخطاب الإسلامي متماشيا مع هذه التغيرات لمواكبة تحديات المرحلة، إن رواد

الإصلاح أمثال الأفغاني وعبدو وابن باديس نظروا في علل وأسباب التخلف فاهتدوا إلى إن المشكلة تكمن في تلك المفارقة الصارخة بين الإسلام المسطور في الكتاب والسنة، والواقع المعاش الذي يسوده التخلف، وقد انطلق الكثير من رواد الإصلاح في الأمة الإسلامية من المقارنة بين الصورة الإسلامية، وبين حياة المسلمين الواقعية، ورأوا أن السبب في هذه المفارقة هو أن الصورة الصحيحة للإسلام غائبة عن أذهان المسلمين، فالإسلام حاضر بصفة شكلية فقط، وقد عملت سنوات الانحطاط على تكريس الفهم السطحي للإسلام، ولهذا لم يدخر المفكرون المسلمون جهداً لإجلاء صورة الإسلام الصافية، والعمل على حضورها في أذهان المسلمين بوجهها الناصع والنقي¹¹، وعلى هذا فقد اتجه الخطاب الإسلامي إلى عقيدة الإسلام وشريعته يتناولها بالبيان والشرح والتوضيح، وإظهار ما فيها من عناصر الحق والخير وتحقيقه من نتائج، وإبراز نماذج من التاريخ الإسلامي تحقق فيها نجاحات في السياسة والاقتصاد وغيرهما من المجالات، وإلى جانب هذا حاول المصلحون إبراز مدى التخلف الذي يعيشه المسلمون ووجهوا جهودهم لإظهار مفارقتها للحقيقة الإسلامية، وبين هذا الواقع التخلف والصورة الأخاذة للنظام الإسلامي كانت الهوة عميقة لا يعرف المسلم كيفية عبورها لينتقل من حالة التخلف إلى التطور والازدهار.

إن الأزمة التي نعيشها مرتبطة في جزء كبير منها بالآثار والرواسب التي أحدثتها مراحل الانحطاط والتخلف في عقليتنا ونفسيتنا مما أدى إلى إحداث تغيير في طريقة تفكيرنا، وهذه الرواسب قد تكون وراء إحباط محاولات إصلاح كثيره أو الحد من فاعليتها وأثرها في التغيير، فنحن إذن في قضية الخطاب الإسلامي في حاجة إلى ابتكار مناهج للفكر السليم، بعيداً عن تأثير العولمة الفكرية الغربية أو سيطرتها، ومحاولة معالجة معضلاتنا الفكرية ومواجهة الواقع وفق ما نتميز به من هوية وشخصية¹².

إن مشكلة الخطاب الإسلامي اليوم هو أنه لم يقم بالخطوة المتممة التي مهد لها المصلحون وهي محاولة الإجابة عن التساؤل التالي: كيف يمكن تجاوز الهوة التي تحول بين تخلفنا وديننا، كيف يمكن تحريك هذا الواقع وبعث الحياة فيه من جديد، إن مشكلة الإنسان لا تكمن في معرفة الحق بقدر ما تكمن في توطين النفس على انتهاجه، فالإنسان كائن يتأثر بمحيطه، وله تفاعل معقد مع العناصر الواقعة في الوسط الذي يعيش فيه، وتمتد جذوره في ذلك الوسط وتتمكن روابطه به بحيث يصبح انتقاله من وضعيته الواقعية فيه إلى وضعية صحيحة أمراً مستعصياً يتطلب جهداً معتبراً، والمسلمون اليوم إنما يعيشون في واقع كثير من عناصره بعيدة عن هويتهم الإسلامية، وهم على وعي بذلك، لكنهم لم يعوا بعد حق الوعي أدب النقلة من العناصر الغير ذات جدوى في واقع حياتهم إلى الحقيقة الإسلامية الكاملة¹³، إذن كيف نهيم إنسان اليوم لتقبل الصورة الحقيقية للإسلام وتغيير واقعه.

لإحداث التغيير المنشود الذي يرمي إليه الخطاب الإسلامي لا بد من مراعاة بعض الشروط التي توفر نجاح عملية التغيير، وهذه الشروط لا بد أن تدخل في التركيب المنهجي للخطاب الإسلامي لأن التغيير من واقع معين إلى واقع آخر ليس بالشيء السهل، كما أنه يتطلب جهوداً مضنية تدوم سنوات وربما عقود، وكل هذا يعتمد على سعة انتشار الخطاب الإسلامي واكتسابه قاعدة عريضة تعطيه الفرصة أكثر لإحداث التغيير.

إن من شروط تحقيق التغيير في الواقع هو البحث عن الوجه التطبيقي للأفكار المراد تطبيقها في الواقع المعاش، فلا يمكن أن نطالب بتطبيق أفكار ليس لها أي تصور مقابل لها في الواقع، إذن لا بد من إحضار البديل العملي المناسب، ونطالب ونقع بتفعيل هذا النمط وجعله واقعا، ونكون على دراية بالضمانات التي تؤدي إلى سيادته، حيث تساعد هذه الضمانات على استمرارية الفكرة الجديدة في العيش على أنقاض الواقع المزال¹⁴، فمن أخطاء الخطاب الإسلامي السائد أنه يطالب بالتغيير دون تقديم بدائل مشخصة التي يجب أن تسود حياة

المسلم، ولعل بعض البدائل مثل البنوك الإسلامية وصناديق الزكاة أحسن مثال على البدائل الناجحة، وعلينا تعميم المنهج على المجالات الأخرى للحياة.

كذلك لا بد من الإعداد النفسي والفكري لقبول التغيير، لأن النفس التي تعودت على واقع معين لا بد من تهيئتها لتقبل واقع جديد، إن للواقع سطوة على النفس وتمكنا فيها، ولذلك فإن أي انتقال من وضع للحياة إلى وضع آخر، يتطلب إعدادا نفسيا وعقليا حتى يكون هناك عزم على الانتقال أولا، وحتى تكون ظروف الانتقال تضمن سلامة العواقب¹⁵، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل على تهيئة الناس في الجاهلية بإبراز تناقضاتهم وفساد تفكيرهم ودعوتهم إلى نظرة جديدة خالية من أي تناقض، والإعداد النفسي اليوم يهتم بإبراز فساد النموذج الغربي وذلك بالتدليل عن طريق البراهين والحجج والإحصاءات وفق طرق موضوعية¹⁶. كما أن إعداد الأُنفس يكون باعتبارها طرفا في التغيير لا متفرجا عليه.

لا بد من اتخاذ خيار التدرج كوسيلة ناجحة لإحداث التغيير فالتسرع والتعجل في التطبيق والمطالبة بالنتائج لا يكون سوى زوبعة دون نتائج، والواجب أن يكون الهدف واضح، والعمل المستمر والدءوب هو السبيل للوصول إلى ذلك الهدف، فالمنهج المتدرج هو عنصر أساسي للتغيير، ذلك أن الحياة الإسلامية هي اليوم من التشابك والتعقيد مما يقتضي أن يكون التغيير مستلزما لعمل تمهيدي في جوانب أخرى تهيئ لتوفر عوامل النجاح في التغيير¹⁷.

كذلك لا بد من الانتباه إلى خطر شيوع العقلية التبريرية بين المسلمين، ومحاولة إلقاء اللوم على الغرب وإعفاء الذات من المسؤولية، إن ذهنية تمجيد الذات والوقوع في ذهان السهولة كما يرى مالك بن نبي، أدى إلى التغافل عن كل محاولة لمراجعة الذات والكشف عن أسباب الفشل والتخلف التي كنا طرفا فيها، فقد جاء في الآية الكريمة ﴿وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم﴾¹⁸، وكذلك جاء في سورة

آل عمران ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾¹⁹. وهذا يبين أن ما يحل من مصائب بالمسلمين إنما يرجع إلى تقصيرهم، فلا بد من الرجوع إلى الذات والبحث عن أسباب الفشل، والكشف عن الظروف الفكرية والسياسية التي أوصلتنا إلى هذه الحالة.

يجب أن تستفيد العلوم الإنسانية والاجتماعية من المصادر الإسلامية المتمثلة في القرآن والسنة والاجتهادات الإسلامية، وذلك باستخراج ما له علاقة بهذه العلوم من المصادر ومحاولة بناء نسق معرفي إسلامي يتماشى مع روح العصر²⁰، إذ كيف يمكن أن يكون علم ذو نشأة غربية ذو فائدة في بيئتنا دون أن يتكيف مع خصوصيتها، كما أن ما تستفيد منه هذه العلوم من الرؤية القرآنية والنبوية تعطيها صفة العالمية وتكون لها فائدة مهمة لأن القرآن والسنة هو خطاب للإنسانية وليس للمسلمين فقط.

لا بد من الاستفادة من المحاولات التراثية الإسلامية، في مجالات العلوم والمعارف كعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة، كما أن هناك محاولات للكثير من العلماء المسلمين في مجالات العلوم والمناهج²¹، والمهم ألا نتعامل مع هذا التراث كمن يقف على الأطلال، أو إبراز صفة سبق لهذا أو ذاك، وإنما يجب أن تسهم هذه المعارف في تعزيز وتمييز هوية الخطاب الإسلامي المعاصر في الاستفادة منها لبعث روح المبادرة لدى الإنسان المسلم.

كذلك لا يمكن أن نغفل العلوم والمعارف التي تأتي من الغرب، فهذا الأخير في نهضته العلمية استفاد من التراث الإسلامي، وعلينا نحن أن نأخذ من الغرب من العلوم للاستفادة منها في نهضتنا وليس فقط جلب العلوم لذاتها لكي لا تقع في فخ التماثل، لأن مشكلتنا كما يرى مالك بن نبي أن العلم الذي اقتبسناه من الغرب لم يكن « وسيلة للإسعاد بل كان طريقة إلى المظهرية، ولم يكن استبطاناً لحاجة مجتمع

يريد معرفة نفسه ليحدث تغييرها، بل لم يكن استظهارا لبيئة نبحت عنها لنغيرها، فهو علم قانع منطو على ذاته، حبيس في صوره وأشياؤه المألوفة»²².

رابعاً- التحديات التي تواجه الخطاب الإسلامي:

إن الخطاب الإسلامي في هذه الأيام لابد أن يكون في مستوى التحدي وأن يكون داخلاً في النسيج الفكري والنفسي للمجتمعات الإسلامية، إننا أمام مرحلة تحدٍ كامل، إما أن تكون لدى الخطاب الإسلامي القدرة على إقناع الأمم بأنه البديل الحضاري المناسب، وأنه الأفدر على تقديم الفكر السليم والثقافة الصحيحة والحضارة القويمة وال عمران الأكيد، ولديه الأهلية لان يجتاز بالأمة حاجز التخلف، وتحقيق أهدافها في الإنماء والبناء وفي عمران وفي احتلال موقعها تحت الشمس، وإما إن يثبت عجزه²³، إذن لا بد من تقديم البديل الإسلامي لإثبات صحة ما يدعو إليه الخطاب الإسلامي، فكما أن الخطاب الليبرالي الغربي يمس جميع ميادين الحياة، فلا بد للبديل الإسلامي أن يحدث التغيير في جميع منحي الحياة، فلا يمكن تصور نهضة سياسية إسلامية دون أن يكون هناك نهضة فكرية وثقافية لان تغيير ما في عقول الناس وأنفسهم هو الطريق المتاح لترجمة هذا التغيير في الواقع وفي جميع الميادين، انطلاقاً من الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾²⁴ التي اعتبرها قاعدة ذهبية وسنة من سنن الله التي أودعها في الكون، ولا بد منها كمنطلق لصنع التغيير في حياة المسلمين.

إن العالم الإسلامي يواجه على المستوى الثقافي والفكري وفود أفكار غربية جديدة، وثقافات غربية عن المبادئ الإسلامية عبر وسائل الإعلام والإنترنت والمنتجات الاقتصادية، لكن ما يلاحظ في هذا الشأن انه ليس هناك مواجهة متكافئة مع التيارات الثقافية العاتية الوافدة من الغرب، وإنما فقط جهود ضئيلة لتعزيز التراث الثقافي والفكري لهدف التحصين من الأفكار الغربية، فالعالم الإسلامي لم ينتقل من مرحلة التحصين الذاتي إلى مرحلة الترويج، ويتجلى هذا في الخطاب الإسلامي فجّل الإنتاج الفكري الإسلامي يهتم بمخاطبة المسلم ومحاولة

تحصينه من خطر الثقافات الوافدة، أو يرد على الأفكار الغربية، لكن لا يوجد في الخطاب الإسلامي بصورة واضحة محاولة للتأثير وتصدير أفكار لغير المسلمين، وقد تركنا هذه المهمة للمستشرقين حيث يروجون عن العالم الإسلامي والإسلام ما يشاءون، وقد لا يكون ذلك في كثير من الأحيان في خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية والهوية الإسلامية، فالخطاب الإسلامي فضلا عن إصلاح واقع المسلمين لا يزال يواجه تحد أكبر وهو الوصول إلى غير المسلمين، وتبليغ صورة الإسلام الصحيحة والثقافة الإسلامية بمختلف مظاهرها ومزاياها، وقد يلعب هنا الإعلام الناطق باللغات الأجنبية والترجمة دورا مهما في تسهيل إيصال الفكرة والصورة الصحيحة عن الإسلام والعالم الإسلامي.

لكي يكون الخطاب الإسلامي خطاب عالمي فلا بد من أن تبني الرسالة الإسلامية على الانفتاح والعالمية لا على الانكماش والانغلاق، وهذا يقتضي أن تصل صورة الإسلام الصحيحة إلى الآخر بحيث يكون خطابه صالحا لسائر الحضارات والثقافات قادرا على تجاوز أي ابطار حزبي وقومي وجغرافي، ويقدم للبشرية كلها على أنه وارث سائر النبوات المشتمل على أفضل خصائصها، المتضمن للخلاصة المشتركة بين جميع الرسالات، فعالمية الإسلام تفرض عالمية الخطاب²⁵

إن مد العولمة في الغرب لا يراعي أي خصوصية ولا هوية ولا تراث، لقد أصبح يروج لنموذج سياسي وفكري واحد دونما التفات للخصوصيات المجتمعية والثقافية فيما بين دول الشمال الغني والجنوب، وهنا تكون مسؤولية الشعوب الإسلامية في الأخذ بزمام المبادرة بالاستغلال المفيد للتكنولوجيا من إعلام ووسائط الاتصال وشبكات المعلومات وتبني مشاريع قادرة على استيعاب شروط العصر في إطار المحافظة على الخصوصية بالدرجة الأولى، وما تسمح به من عقلية الانفتاح والتحاور مع الآخر، وهذا لتقديم الصورة الصحيحة عن عالمنا الإسلامي

في خيلة المتلقي الغربي، وبعيدا عن تحريفات وتشويهات من يراهنون على تخلفنا في الأوساط الشعبية هناك.

إن من تحديات الخطاب الإسلامي إزاء الخطاب الليبرالي هو طرح وترويج مفاهيم تخدم الخطاب الإسلامي، ومستمدة من هوية الأمة، ولها وعاءها الفكري الذي بفضلها تكون لها فاعليتها في الواقع، كما أن المفاهيم الإسلامية تكون أداة فعالة في متناول الخطاب الإسلامي لمواجهة طغيان وهيمنة المفاهيم الغربية التي لا نخدمنا، وهذه المفاهيم يجب أن تخط طريقها في وسائل الإعلام باعتبار أن هذه الوسائل لها تأثير واسع في العامة، وقد يؤدي هذا إلى استيعاب هذه المفاهيم في المجتمع حتى تتجسد إلى سلوك فعلي.

كما أنه من تحديات الخطاب الإسلامي هو العمل على مواجهة الخطاب الليبرالي الداخلي والخارجي وذلك « بانتقاد الأسس المعرفية للحضارة الغربية نقدا علميا رصينا محكما، وإعطائهم صورة صحيحة عن تشجيع الإسلام الدائم على تصويب الخطأ ونقده مهما كان مصدره، وتقويم مجمل الأطروحات الغربية، التي تشكل خلفيتهم الفكرية بشكل علمي وموضوعي بعيدا عن الخطاب العاطفي أو التعميمي »²⁶.

رغم ما يتعرض له العالم الإسلام والمسلمين من قبل الغرب والهجوم على هويتهم وقيمهم الإسلامية، إلا أن هذا لن يزيدهم إلا إحساسا بالذات المستهدفة كل يوم، كما أن الهوية الإسلامية لا يمكن أن تمحوها أو تستأصلها هذه التدايعات الغربية، ورغم أن هذا العصر يشهد غمرة الأفكار والقيم الليبرالية، إلا إن بذور النهضة الإسلامية لا تزال مغروسة في أعماق المسلمين، فالفكر الليبرالي وإن استطاع أن يسطر أفكاره الغربية عنا في الواقع إلا أنه لا يستطيع أن يسطرها في ضمائر المسلمين، لقد رأى مالك بن نبي أنه « مع كل ما يمر بالعالم الإسلامي من تطورات نفسية واجتماعية وسياسية، فإن البذور التي استودعت التربة ستأتي

أكلها يوماً، فإن الأفكار التي تتمكن في الضمير الإنساني فتصبح جزءاً منه لا يمكن أن تفتنى، وغاية الأمر أنهما يمكن أن تخط طريقهما أحياناً في حنايا هذا الضمير، ثم تنبجس منطلقة في اللحظة التاريخية وقد اتخذت صبغة أخرى.²⁷

الهوامش: